ابن الفـــــارض ...
والفلسفة وأفلاطون ...

للأستاذ الدوار الجواهرجى

كثيرا ما يتساءل قراء ابن الفارض ممن يجهلون الفلسفة عن معانى شعره ويشكون من صعوبته وغموضه. ولكن هذه المعانى واضحة وظاهرة كالشمس للعارفين بالفلسفة الذين لهم دراية كافية بالمسائل والمشاكل الفلسفية التى يعالجها شعر ابن الفارض

فالنقط الفلسفية التى ينشدها ابن الفارض فى شعره تنتمى جميعها إلى فلسفة افلاطون وأهمها : الجمال والكمال والخير والحقيقة فى العلم والظواهر والجوهر أى الذات أى العين والصور والفكر السابق لوجود الكائن والتذكار ومعرفة الله الحق والحاجز والشهود.

أما شرح جميع هذه النقط الفلسفية والإتيان بشواهدها الشعرية من ديوان ابن الفارض فهذا أمر يتعسر تنفيذه فى مثل هذا المقال المحدود. ويثبت ذلك ماروواه ولد الشاعر ابن الفارض حين قال : « حضر فى مجلس الشيخ رجل من أكابر علماء زمانه واستأذنه فى شرح قصيدته نظم السلوك. فقال له فى كم مجلد تشرحها. فقال فى مجلدين فتبسم الشيخ وقال : لو شئت لشرحت كل بيت منها فى مجلدين ».

لذلك سأكتفى بالكلام هنا عن النقطتين الفلسفيتين اللتين تعتبران عماد ديوان ابن الفارض وركيزته مستعينا بأقل ما يمكن من عدد الأبيات الشعرية لأنها عديدة جدا بخصوص هاتين النقطتين وهما :

أولا : — ابكار المعارف.

ثانيا : — عالم التذكار.

فقد جاء فى الديوان : (الحقيقة أى الله الحق يتكلم هنا) — وفى هذه الأبيات يذكر ابن الفارض ابكار المعارف :

فذر لى ما قبل الظهور عرفته خصوصا وبى لم تدر فى الذر رفقتى
فأصغر أتباعى على عين قلبه عرائس أبكار المعارف زفت
جنى ثمر العرفان من فرع فطنة زكا باتباعى وهو من أصل فطرتى

وجاء أيضا فى ديوانه : (ابن الفارض يتكلم هنا)

منحت ولاها يوم لا يوم قبل أن بدت عند أخذ العهد فى أوليتى
فنلت ولاها لا بسمع وناظر ولا باكتساب واجتلاب جبلة

بالبيت الثانى يهيء ابن الفارض التعقيب بالتذكار ، لأنه حقا وفعلا أن ابكار المعارف أى المعارف الأولى والأولية أى أفكارنا عما بعد الطبيعة ولو أن العقل يدركها إلا أن الاختبار البشرى لم يتمكن من تفسيرها بالتجارب . فمثلا :

١ — لا يمكن تكوين فكرة المطلق من مجرد إضافة المنسوب إلى المنسوب ، لأن المنسوب زائد المنسوب بل بمجموع المنسوبات لا يساوى المطلق .

٢ — لا يمكن تكوين فكرة اللانهاية من مجرد إضافة المحدود إلى المحدود ، لأن المحدود زائد المحدود بل بمجموع المحدودات لا يساوى اللانهاية .

وهكذا لبقية أفكارنا عما بعد الطبيعة وهى ابكار معارفنا . فمن أين لنا بها ؟ وكيف أدركناها ؟ إن التفسير الوحيد لها أن الروح تدركها الآن لأنها عرفتها وملكتها من سابق وجودها مع الحق ، وتلك هى فلسفة التذكار لأفلاطون وهى تتفق مع الآية : « إنا لله ... وإنا إليه راجعون » .

ومضى ابن الفارض يغنى وينشد بهذا الولاء الأسبق وهو أصل ومصدر ومنبع ابكار المعارف قائلا :

وهمت بها فى عالم الأمر حيث لا ظهور وكانت نشوتى قبل نشأتى

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
وعندى منها نشوة قبل نشأتى معى أبدا تبقى وإن بلى العظم

ويقسم بهذا الولاء فيقول :

ومحكم عهد لم يخامره بيننا تخيل نسخ وهو خير ألية

وأخذك ميثاق الولا حيث لم أبن ... بمظهر لبس النفس فى فىء طيتى
وسابق عهد لم يحل مذ عهدته ... ولا حق عقد جل عن حل فترة

وفى تعقيبه يؤيد ويبايع ويناصر التذكار الأفلاطونى فيقول :

وما ذاك إلا أن نفسى تذكرت ... حقيقتها من نفسها حين أوحت
وينسيه مر الخطب حلو خطابه ... ويذكره نجوى عهود قديمة
إذا هام شوقا بالمناغى وهم أن ... يطير إلى أوطانه الأولية
وفى عالم التذكار للنفس علها أل ... مقدم تستهديه منى فتيتى

لم يحل للعين شىء بعد بعدهم ... والقلب مذ آنس التذكار ما أنسا
يا جنة فارقتها النفس مكرهة ... لولا التأسى بدار الخلد مت أسى

ولما كانت فلسفة أفلاطون روحانية لا مادية تنادى بوجود الله والروح ، فقد اتفقت ، فى هذه الناحية ، مع الدين المسيحى والدين الإسلامى .

فلا حرج إذن ولا خطأ أن يقال — وهو الواقع من تحليل الديوان — إن بطل التصوف ابن الفارض قد ذكر فى شعره — وهو ولا ريب شعر فلسفى — جميع المسائل الواردة فى فلسفة أفلاطون . ولكنه تفوق على أفلاطون فى علاجها بقدر ما يتفوق الشعر على النثر بموسيقاه وسحره .

من هدى الرسول . .

عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال :

أقبل علينا رسول الله فقال : يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا نزلن بكم ، وأعوذ بالله أن تدركوهن .

إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط ، حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا .

ولم ينتقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان

ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم مامطروا

وما نقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدد من غيرهم فأخذوا ما فى أيديهم .

وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ، وتجروا فيما أنزل الله ، إلا جعل بأسهم بينهم .

(ندوة الإسلام والتصوف)

بقية المنشور على صفحة ٣٤

بارزته لإعلاء كلمات الله فلما أردت القضاء عليه بصق فى وجهى فتملكنى الغضب فخشيت أن يكون الانتقام لنفسى ولذلك تركته » . وأمثال ذلك كثير فى حياة الصحابة .

وهذه الصور كلها يعمل بها المؤمنون حقا فى حياتهم الدنيوية وقد ورد فى الأثر الكثير من ذلك مما ينسب إلى الطائفة الصوفية من حيث مخالفة النفس ونهيها عن الهوى ، فإن منهجهم قوله سبحانه : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » .

فمن لم يكن منهم على هذا اللون من الإحساس والشعور فإنه دخيل عليهم :

الأستاذ عبد الرحمن العطار :

قبل أن أتحدث فى الموضوع : مدرسة الرسول والتربية الروحية : نرى لزاما علينا أن نحدد مركز الحياة الروحية من الإسلام وهل هى منفصلة عنه حتى نربطها به من جديد أو نربط حياة الناس بها من جديد .

أعتقد أن الحياة الروحية هى الجزء الأهم فى الإسلام فهى منه بمنزلة الروح من الجسد .

ولهذا يضع الدين الخشوع فى الصلاة مثلا موضعا هاما بحيث لا تقبل صلاة دون خشوع .

وكل العبادات والمعاملات الإسلامية مبناها على الإخلاص والنية وذلك شىء يتعلق بالروح إن لم يكن هو الروح .

لهذا لا أجد فاصلا بين الإسلام كأوامر ونواهى وعبادات ومعاملات وبين الروح الذى يرتكز عليه الإسلام .

ولهذا تحنث الرسول قبل بعثته عليه السلام وقتاً طويلا حتى صفت روحه ، وخلصت نفسه لله ، وأصبحت مهيأة لتلقى أوامر الله سبحانه وتعالى .

وكذلك خلصت روح أصحابه أيضا وفنيت هى الأخرى فى الله ، فكل أعمالهم وحركاتهم ، وسكناتهم إنما كانت منبعثه من قلوب مؤمنة نقية خالصة لله وفى الله .

هذا هو الإسلام روحا قبل أن أن يكون عملا وقبل أن يكون عبادات ومعاملات .

والذى أود أن أقوله : إن علينا أن نربط بين حياة الناس الآن وبين الروح الإسلامى . وهل المسلمون اليوم يصدرون فى أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم ومجتمعاتهم عن روح إسلامى خالص ؟ أم أن بينهم وبين الإسلام شأوا بعيداً .

أنا أرى أن المسلمين اليوم يتشحون بالإسلام ويشتقون أسماءهم من اسمه ، ولكن الإسلام وإن التحفوه ظاهراً لم يتبطن قلوبهم .

سماحة السيد محمد محمود علوان :

الفكرة الإسلامية وإن اهتزت فى أفهام بعض الناس ، وإن تلونت فى قلوب آخرين ، إلا أنها بحمد الله لا تزال القوة الدافعة المهيمنة على حياة العالم الإسلامى ، وإنما ينقص الأمة الإسلامية ، التوجيه الواعى ، والإرشـــاد الفاقه ، وفى الجماهير الإسلامية استجابة فطرية لعقائدها ، وإجلال لمبادئها ، وتقديس لإيمانها ، فمن الإسراف فى القول أن نجردهم أو نجرد قلوبهم من الإيمان والاستجابة

الأستاذ عبد الرحمن العطار :

لاخلاف بينى وبين سماحة الأستاذ الشيخ محمد علوان ، وأنا معه فى أن حاجة الناس اليوم شديدة إلى إحياء الروح الإسلامى فى نفوسهم .

ونحن إذا رجعنا إلى الماضى البعيد للمسلمين فإننا نرى أن كثيراً من آبائنا وأجدادنا المسلمين لحظوا هذه الناحية فاتجهوا بالمسلمين اتجاهاً عملياً ليخلقوا فيهم القدوة وليجعلوا الإسلام فى قلوبهم وفى أعمالهم روحاً وعملا وهؤلاء الناس هم طائفة الصوفية الذين هدى الله قلوبهم إلى الإسلام ففهموا منه روحه ، قبل أن يفهموا منه ظاهره .

فساروا بالمسلمين سيراً إسلامياً عملياً وعندى أن الإسلام لم ينتشر فى العالم إلا عن طريق القدوة الصالحة لا عن طريق المدارس والجامعات والمعاهد المختلفة .

لهذا أرى أن العالم اليوم فى هذا العصر المادى الصاخب الذى لم يعد يفكر إلا بعقله المادى .

أرى أنه أصبح فى خطر داهم إن لم يلووا عنقه إلى الناحية الروحية فتتجلى فيه المعانى الروحية العالية الكريمة .

فلو أخذنا مثـــلا الرسول عليه

السلام كقدوة صالحة حسنة فى معاملاته لأزواجه واتبع الرجال هذه المعاملة مثلا مع زوجاتهم لاستقامت أمورهم ، وصلحت حالهم ولا نعود بعد ذلك نسمع عن هذا التحلل الذى يقوض دعائم الأسرة ، ولا يقيمها على أساس سليم .

وهكذا كل نواحى المجتمع ، نحن بحاجة ماسة إلى أن نتأسى بها بخلق رسول الله وخلق أصحابه من بعده . وإن فقد الناس هذه القدوة الحسنة فإنهم يفقدون الإسلام وإن ظنوا أنهم مسلمون .

نخلص من هذا إلى أن المجتمع المسلم فى كل بلد إسلامى بحاجة ماسة إلى أن يسير وراء هؤلاء الناس الذين صفت قلوبهم لله ، وفنوا فى سبيله حتى يستقيم أمر المجتمع ويصلح حاله ، صدق الله العظيم — لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

الشيخ ماهر اسماعيل :

ماذا قصدت من هذا الاقتراح «مدرسة الرسول والتربية الروحية» لكل مدرسة ثمرتها ، فالحياة الروحية هى ثمرة المدرسة المحمدية ، هذه المدرسة هى الجانب العملى مما جاء به رسول الله من عند الله والحياة الروحية هى الآثار لهذه المدرسة وهى التى نهضت بأصحاب رسول الله حتى كان ما كان منهم .

مثل ذلك : ما الفرق بين مدرسة المسلمين اليوم ومدرسة الرسول ، نقارن بين المدرستين لنعلم لماذا لم يتخرج من مدرسة الإسلام اليوم ، مثل ما كان يتخرج من مدرسة الرسول والله يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » بآثاره وعلمائه؟ التابع المحمدى فى مدرسة الرسول كان جامعاً بين الصلتين صلة العبد بربه ، وصلة العبد بالمجتمع حوله عملا بقوله : تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » .

فالرسول عليه السلام كان يجمع أصحابه فى مدرسته بالله ، ويجمعهم فيما بينهم .

فالصحابى مثلا حين يقف يصلى أو يتعبد بعبارة أخرى ، كان يعمل على نهج الرسول من حيث الظاهر والباطن ، اقتداء به وعملا بقوله : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وهناك

حديث عن رسول الله عليه السلام الذى رواه عمر رضى الله عنه حين جاءه جبريل بقوله : « أخبرنى عن الإسلام فقال الرسول ما قال :

ثم قال أخبرنى عن الإيمان فقال الرسول ما قال : ثم قال أخبرنى عن الإحسان . فقال الرسول ما قال :

ثم سأله عن الساعة فقال الرسول ما قال .

فالصحابى حين كان يصلى أو يتعبد كان يدور حول هذه المعانى يأخذ بالإسلام ، ثم يأخذ بالإيمان فى عمله ثم يكون فى مقام الإحسان فى مشاهدته لربه ، ثم يقوم فى مقام عرض نفسه على ربه يوم القيامة .

فالعبادة منه تقع صحيحة كاملة بآثارها ومعانيها ، إنه يصلى كما كان الرسول يصلى ، أى يقتدى به فيما يتعلق بجوارحه ثم يجعل هذه لله خالصة ، لوجه الله مؤمناً بذلك ثم يشعر بمراقبة الله عليه ، ثم يرى موقفه بين يدى ربه و بمثل هذه المعانى والأحاسيس فى العبادات كلها أخذ الصحابة فكان كل عمل منهم يقربهم إلى الله لأنها مأخوذة من تعاليم صلوات الله عليه .

كانت المدرسة تامة الفصول كان يتعبد الصحابى فى جو قوله سبحانه « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ثم يترقى إلى قوله : وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا : ثم يترقى إلى مقام الفناء بحيث يكون كل ما هو منه ربانيا فيه : وعلى ربهم يتوكلون : أى يأخذ بكل ما أمر الله به دون أن ينظر إلى حظه وهواه .

وقد وصف الله عباد الرحمن بقوله « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما »

ثم كانت مدرسة الرسول تخرج أفواجا أفواجا فى أقصر مدة . لأن أعمالهم كلها أعمال لمدرسة صالحة مثمرة ، وقد استطاع الرسول فى مدة قصيرة مدة الرسالة ، بضع وعشرين عاما ، أن يخرج الصديقين والشهداء .

والمسلمون رغم أنهم لا يزالون على شىء من مدرسة الرسول فلم يتخرج منهم ما يناسب عددهم ، رب سائل يسأل : لماذا ؟ لأن الصحابى رضوان الله عليه كان يرى العبادة وصلة كقوله تبارك وتعالى « إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين » فلا يقف الصحابى عند هذا إنما يتعقب الأثر « والذين هم على صلاتهم دائمون »

ثم يأخذ بسائر الصلات مع الله إلى أن ينتهى إلى قوله سبحانه « والذين هم على صلواتهم يحافظون »

وبهذا كان يتقرب إلى الله فى حركاته وسكناته دون التوقف لحظة واحدة باعتبار أن هذه هى مدرسة الرسول التى تكون منها الحياة الروحية الخالصة وهى التى يصعد بها المؤمن إلى السماء ، فالحياة الروحية هى حلقة الاتصال بين العبد ومولاه .

مثل ذلك قوله تعالى — « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » الآية .

« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » ، وذكر الأرض يفيد أن المصلى كان مع الله فى السماء يحيا حياة روحية خالصة فيعود بعد ذلك إلى الأرض .

هكذا كانت مدرسة الرسول مدرسة شاملة جامعة عامرة .

وقد سألت السيدة عائشة الرسول عن قوله تعالى « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » .

هؤلاء المذنبون العصاة قال : لا ياعائشة هؤلاء الذين يصلون ويصومون ويتصدقون ويزكون ويخافون من الله ألا يتقبل ذلك منهم » .

هذا هو لون مدرسة الرسول ، أما مدرسة المسلمين الآن ، رغم انتسابهم إلى الرسول ورغم الزعم من تلامذتها فالكثير منا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ! ؟

قد يصلى المسلم ، ويتظاهر بالعبادة وهو أبعد ما يكون عن التحلى بمكارم الأخلاق؟

والمعلوم أن صلة العبد ، بربه مقترنة بصلته مع عباده كالسالب والموجب فى الكهرباء أى لابد من الجميع بين الصلتين .

أن يقول : « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين »

وقد ذكر عند رسول الله امرأة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذى الناس بلسانها ، قال : « لا خير فى صلاتها ؟ هى من أهل النار »

لماذا ؟ لأن الله بعد أن أمر الناس بعبادته أمرهم بتكاليف أخرى متعلقة بالخلق ، فإذا لم ينهضوا بها كما ينهضوا بتكاليف الله الخاصة ولن يكونوا محمديين فى حياتهم .

فللجار على الجار حقوق وللوالدين والأقارب كذلك ، وكل هذا لا أثر له فى حياة المسلمين اليوم ، حتى ان من تراه متعبدا متنسكا متعالما داعيا فإنه لا يعبأ بهذه النواحى ، فإنه يحرص على الدنيا حرصا كاملا بصورة تتنافى مع دعوة الله فى الأرض كأن الدنيا هى الباقية والآخرة هى الفانية .

وكل منا يشعر من أعماق قلبه أن التكليف من الله واقع على غيره لا عليه وقد نبه الله عباده من قبل عن تدخل الشيطان بين الإنسان وربه ..

« وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

وهذا يفيد أن الشيطان يتدخل بين القارىء وبين فهم القرآن ، وقد حذرنا الله من ذلك ولفت أنظارنا كمسلمين إلى العمل على نبذ الشيطان منا حين نتلو كتابه .

وفضلا عن ذلك فإن كل مستمع أو تال للقرآن يتوهم أن المخاطب بالقرآن غيره لا هو ؟

فإذا سمع قوله تعالى : « يأيها الذين آمنو اتقوا الله » فالخطاب إلى غيره ؟

وإذا استمع إلى قوله « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » حول على غيره ونسى قوله تعالى « ومما رزقناهم ينفقون » .

وإذا وقع نظره على اجنبية ينسى أنه مكلف والقرآن يطالبه بغض بصره فيسترسل مخالفا أمر الله الذى خاطبه به

هذه أمثلة على تدخل الشيطان فى الفهم وقد وصف الله الشيطان بعدة أوصاف ثم أثبت وجوده والرسول ذكر عنه « أنه يجرى منا مجرى الدم »

ولكننا لا نؤمن بعداوته بعكس العهد فى مدرسة رسول الله .

فاليوم إذا رجع كل منا ممن يزعم الإيمان والتتلمذ على مدرسة رسول الله التى لا تزال مفتوحة للطلاب اكتسب المعية له معية الصفة التى لا تزال باقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها

« محمد رسول الله والذين معه » وهذه المعية المتعلقة بصفته لا تزال ، فالمدرسة مفتوحة فمن كان مؤمناً بمدرسة رسول الله فليدخل مدرسته اليوم . أما الحياة الروحية فهما بالغ المكثرون وتحدثوا عنها إنما يبصرونها ويكيفونها بأحاسيسهم ، فمن أرادها فليسلك الطريق ، إن من يتذوقها ذوقاً ويجدها وجداً ، ويحس بها إحساساً

فإنه يجدها بصورة بعجز أعلم العلماء عن تصويرها وتكييفها .

لأن الحياة الروحية هى صلة العبد بربه « وما قدروا الله حق قدره »

ولذلك فإن من تذوقها أو جاء بمعانيها من الله انتقل من الدنيا وهو لايزال يطلبها . متأثراً بها كأنه لم يكن عليها .

هذه المعانى المتعلقة بالحياة الروحية كإحساس وذوق لاتجدها فى كتاب ، ولا يمكن أن تلهمها من غيرك ، إنما هى إحساس وأذواق ومواجيد يجدها من انتقل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فكان فى مقام المشاهدة والمعاينة بأكمل صورها ومعانيها .

ومن لم يجدها كذلك إنما يحوم حول معانيها إيمانا منه بآثارها فى الحياة .

الدكتور محمد مصطفى حلمى :

وإذا كان ذلك كذلك ودخلنا مدرسة الرسول الروحية وتلقينا دروسها على الوجه الذى ينبغى ، وأتقنا تعاليمها إتقانا لاتساع فيه إلى عنصر من عناصر الشر أو الباطل كنا بمنجاة من المهالك

فليس من شك أن مدرسة الرسول هى المدرسة الروحية بأدق مافى لفظة الروحية من معان ، وإنما كانت هذه المعانى عبارة نقاء السيرة ، وصفاء السريرة ، وجلاء البصيرة ، فإذا اجتمع كل أولئك لمسلم مؤمن بكتاب الله وسنة رسوله وتتلمذ فى مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام فقد كتبت له النجاة وتحقق له السلام

لقد كان رسول الله منبعاً أسمى للخلق العظيم ، ومورداً أحلى للذوق السليم ، وكان فى كل ما يأتى ويدع ، إنساناً كاملا بكل ما فى الإنسانية من معنى ، يجاهد نفسه ويجاهد الشيطان ، ويجاهد الكفار ، ويجاهد فى سبيل الله ما وسعه الجهاد ، لا طامعاً ولا خائفاً ولا راجياً ثواباً ، ولا خاشياً عقاباً وإنما هو يفعل هذا كله إبتغاء وجه الله وأداء لواجبه فى الحياة وعملا على إسعاد خلق الله .

لقد كانت حياته صلوات الله مرآة صادقة تتجلى على صفحتها تعاليم الإسلام القويمة سواء فيما يتعلق بالعبادات أو المعاملات أو فيما يتعلق بالحياة العامة والخاصة للأفراد والجماعة .

وكان عليه الصلاة والسلام فى هذا كله حكيما مستقيما لا يقول إلا الحق ، ولا يفعل إلا الحق ، ولا يدعو إلا

إلى الحق ، ولعلنا إذا أردنا أن نبين تفاصيل هـذه المعانى الروحية التى أجملناها ، لخرجنا عن القصد، ولوجدنا من ذلك أشياء يحتاج كل منها إلى ندوة خاصة .

فحسبى هذا الاجمال ، على أن يكون حافزا لطلاب الكمال أن يتحققوا بما تحقق به المثل الأعلى فى الكمال .

فإنهم واجدون فى هـذا التحقق غذاء للقلب وحياة للروح بل سيجدون فيه بعد هذا كله السعادة القصوى . والبهجة العظمى .

ذلك بأنهم عاشوا لله ، وعملوا من أجل الله ،ومن كان كـذلك كان خليقاً برضاء الله .

فليكن لنا فى رسول الله أسوة حسنة ، وفى حياته الروحية التى كان يحياها متحنثاً أولا ، ثم مرسلا بعد ذلك ، ثم مدبراً لشئون الحياة ومبصراً بامور الميعاد فيما بين ذلك ... ليكن لنا من هذا كله النبراس الذى نهتدى به ونعول عليه ، ولا نركن فى أقوالنا وأحوالنا وأعمالنا إلى إليه

فهنالك السعادة والنجاة وحسن العقبى

الأستاذ عبد الرحمن أبو النصر المحامى

أريد أن أقول إن مدرسة الرسول الروحية هذه تسميه ضيقة لأن الرسول عليه السلام بعث رسولا للعالم كافة على أوسع نطاق وإننا فى تضيقنا للمعنى بأن نقول «مدرسة الرسول» فى هذا تشبيه قد يفهمه البعض على أنه محدد بمكان ، أو بتلاميذ معينين ، أو بزمان معين .

ولكن الرسول عليه السلام أعده الله واصطفاه لكى يكون للناس كافة من الوقت الذى نزل فيه إلى أن تقوم الساعة .

لا لفريق من الناس كما أعد غيره من الرسل . ولكن للناس قاطبة

وعلى هذا أرى أن التسمية تسمه مدرسة الرسول الروحية لا تعى المعنى الذى يتفق مع أستاذية الرسول

وأرى أن الرسول عليه السلام ما نطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

أحب أن أوضح للأستاذ الكبير عبد الرحمن أبو النصر ، أننا أردنا بهذه الندوة ، تصوير الحياة الروحيه أو المدرسة الروحية للرسول ، تلك المدرسة التى كانت إماما ملهماً للصوفية فنهجوا نهجها وساروا على خطوها ولم نضيق بهذا واسعاً ولم نحدد بذلك رسالة فالرسول صلوات الله وسلامه عليه

هو إمام الأنبياء والمرسلين والناس كافة وتعاليمه ورسالته شاملة جامعة

فهو أستاذ وإمام للفقهاء ولرجال الحديث ولسائر المدارس العلمية التى انبثقت من رسالته

وإنما استهدفنا التخصيص لمدرسة معينة هى المدرسة الروحية التى يرفع أعلامها الصوفية

وتلك المدرسة الروحية فى الحقيقة تتسع وتتسع حتى تحيط بكافة المدارس فهى الأساس ، . وهو الهدف وهى المعنى المضمر أو المراد من كل مدرسه علمية دينية. لأن تصعيد الأعمال جميعها إلى الله سبحانه . هو هدف الإسلام وطابعه، وهو شعار التصوف ومنهجة

الأستاذ عبد الرحمن أبو النصر :

تلك المدرسة الروحية التى خلفها لنا الرسول عليه الصلاة والسلام قائمة ولا زالت آثارها قائمة .

والدليل على وجودها وعلى أن الأمه الإسلامية لا زالت بخير هى وجود هذه الندوة ، وتلك النصائح التى استمعنا إليها ممن سبقونا فكل منهم صالح لأن يكون أستاذاً يقتدى به فى نطاق المدرسة المحمدية .

الأستاذ أبو الوفا التفتازانى :

أوافق الأستاذ الفاضل عبدالرحمن أبو النصر على أن قولنا مدرسة الرسول والحياة الروحية . قد ضيق المقصود بالحياة الروحية لأن هذه الحياة فى رأيى لاتنفصل عن الإسلام ،

ذلك أن الإسلام وهو الدين الذى جاء للبشر كافة قد اشتمل على الأحكام الشرعية بجميع فروعها فهناك أحكام شرعية تتعلق بالعبادات مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة والبيوع والزورع وما إلى ذلك .

وهناك أحكام شرعية تتعلق بالعقائد كالإيمان بوحدانية الله وتصديق رسله والإيمان باليوم الآخر وما إلى ذلك مما يسمى بالعقائد الإيمانية

وهناك إلى جانب هذا كله أحكام شرعية تتعلق بالمعاملات الباطنية .

مثل الأخلاق التى دعا إليها القرآن والتى تحلى بها الرسول من الصبر والشكر والمحبة والرضا وما إلى ذلك مما هو على الجارحة الباطنة وهى القلب .

فالجزء الأول من الأحكام الشرعية يختص به الفقهاء ، والجزء الثانى يختص به علماء التوحيد والجزء الثالث يختص به المتصوفة .

هذا التخصص لا يفيد الانفصال، وإنما هو تعدد اعتبارى فالفقيه مثلا لا ينبغى أن يكون عالما بالأحكام الشرعية فحسب ، وإنما ينبغى أن يكون إلى جانب ذلك متحققا بالخلق الدينى ومستشهدا لعظمة الله فى قلبه ، أى يكون متعبدا متحققا بالمعانى الروحية

وكان السلف من الفقهاء على هذا النحو الإمام مالك والشافعى وابن حنبل فقد كانوا فى حياتهم الروحية متحققين بالعلم والعمل .

والصوفية كذلك يشترطون العلم بالأحكام الشرعية كأساس لترقيتهم فى السلوك .

كل ما فى الأمر ، أن الصوفية تخصصو أكثر من غيرهم فى معالجة مسائل الأخلاق .

والأخلاق تنقسم إلى قسمين : الأول هو تصحيح المسلم لعلاقته مع خالقه ، والثانى تصحيح سلوكه مع الناس فى المجتمع وهذان الأمران لا ينفصلان أيضاً .

وقد نص الإسلام على أن المسلم الصحيح هو الذى يستشعر عظمة الله فى قلبه على الدوام ، فإذا استشعر هذا فى قلبه وتحقق بمعنى العبودية لله ترتب على هذا أن تكون علاقته بغيره فى المجتمع الإسلامى قائمة على أسس سليمة.

يقول تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » أى استشعار العبد بالعبودية فى كل ما يقدم عليه من أعمال .

ثم يبدو لى أن من أخص ماتتميز به حياة التعبد الروحية فى الإسلام هو الخضوع لله . والخضوع لله سبحانه وتعالى هو ثمرة العبادة : فاعبده وتوكل عليه .

اعبده شريعة ، وتوكل عليه حقيقة ، ثم كيف السبيل للوصول إلى الحقيقة ؟ إن المنهج الذى هدانا الرسول إليه هو مراقبة النفس فى كل لحظة ونفس ، فالأنفاس كما يقول الروندى « أزمان دقيقة تتعاقب على نفس العبد وفى كل وقت منها ينبغى أن يراعى المريد أدبا معينا مع الله أو مع الخلق » ، ولذلك يقولون الصوفى ابن وقته بمعنى أنه فى كل وقت من الأوقات التى تمر عليه ينبغى أن يكون مراعيا لأدبه مع الله حتى ان بعض الصوفية يعبر عن التصوف بأنه أدب فى كل وقت وفى كل حال أدب .

فالمنهج الروحى هو مراقبة النفس ومن أجل ما يحضرنى فى هذه المناسبة قول أبو المرسى لتلميذه ابن عطاء الله « أوقات العبد أربعة لاخامس لها، النعمة والبلية والطاعة والمعصية ، فإذا

كنت فى وقت النعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وإذا كنت فى البلية فالصبر ، وإذا كنت فى وقت الطاعة فشكرها شهودها منة عليك وإذا كنت فى المعصية فمقتضى الحق منك الاستغفار » فالأوقات متصلة وكل إنسان منا خاضع لحكم وقته لايحيد عنه.

ولذلك يقول ابن عطاء الله فى حكمه : « حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها فما من وقت يرد عليك إلا ولله فيه أمر أكيد ، وحكم جديد ، فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه » .

وهو يعنى أحكام الشريعة كالصلاة والصوم والزكاة فإن بعضها إذا فات المسلم يمكن قضاؤه ، أما حقوق الأوقات فلا يمكن بمعنى إذا كان فى البلية فالصبر ، لا يمكن أن يرجىء الصبر، لأنه إذا فعل ذلك ضيع حق الوقت.

وكذلك الرضا عن الله لا يؤجل إلى وقت آخر والاستغفار وهكذا .

فى حكمة عطائية أخرى يقول : « ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه »

نخلص من هذا إلى أن الصوفية أساس منهجهم مراقبة النفس وهم يستمدون هذا المنهج من القرآن والسنة

على أننى أنبه إلى أن عناية الصوفية بهذا الجانب لا تجعلهم منفصلين عن غيرهم من علماء الإسلام فهم أيضاً لابد أن يكونوا متحققين بأحكام الشريعة .

وأضيف أن يكونوا فى المجتمع يحيون حياته لأن حياة التعبد تعين المسلم على مواجهة المجتمع وتبعاته وتجعله مستشعرا فى كل لحظة أنه قريب من الله مراعيا لحق الله .

الأستاذ محمد النشرتى :

الصوفية وهم خلاصة القوم الذين جاهدوا النفس ليصلوا إلى مقام الشهود وصلوا عن طريق تتلمذهم للرسول. الذى بعد أن انتهى من غزواته وفتوحاته أشار إلى الجهاد الأكبر فقال : إنه جهاد النفس فجهاد النفس هو الدرس الأول فى المدرسة الروحية للرسول عليه السلام .

فمن أراد الالتحاق بالمدرسة الروحية للرسول عليه السلام فليسلك مسلك الصوفية وليتخذ منهم أساتذة له حتى يهتدى إلى ما اهتدوا إليه عن طريق أستاذهم الأكبر محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وانتهت الندوة المباركة فى تمام الساعة العاشرة على أن تعود للانعقاد ن شاء الله تعالى فى الشهر القادم .